معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

ترجمات

وثائق البنتاغون المُسربة
روسيا في السياسة الخارجية للدول العربية

الدكتور عوض سليمية

باحث في العلاقات الدولية

مدير وحدة الابحاث والدراسات الدولية

تحت هذا العنوان كتب الباحثان في معهد دراسات الامن القومي الاسرائيلي Yoel Guzansky و Arkady Mil-Man على الموقع الرسمي لمعهد دراسات الامن القومي الاسرائيلي بتاريخ 20 نيسان/ابريل 2023.

الملخص

من المعروف أن روسيا تحتل مكانة بارزة بين الاعتبارات الاقتصادية والسياسة الخارجية للدول العربية. توفر وثائق البنتاغون المسربة معلومات توضح بشكل أكبر الاتجاه المتزايد للدول العربية لتنويع تفضيلاتها في التحالف، على حساب علاقاتها مع الولايات المتحدة. وبالتالي، فإن إحدى العواقب المركزية للحرب في أوكرانيا هي التغييرات التي أجرتها دول الشرق الأوسط الأساسية في علاقاتها مع حليفتها التقليدية، الولايات المتحدة. إنهم ليسوا مهتمين بالتخلي الكامل عن العلاقة مع الولايات المتحدة، ولكن في تقليل اعتمادهم على هذه العلاقة. مكانة دول الخليج في أعقاب ارتفاع أسعار النفط تسمح لها – في رأيهم – محاولة تشكيل نموذج جديد للعلاقات مع الولايات المتحدة، بحيث يكون من الأسهل عليهم تنفيذ سياسة مستقلة تسمح بتعظيم السعي لتحقيق مصالحهم الوطنية. من خلال تبني سياسة خارجية أكثر استقلالية مما كانت عليه الوضع في الماضي، وهو ما يعني عمليًا وعلى الأرجح النأي بنفسها عن فلك الولايات المتحدة قريباً.

استعرض الباحثان في مقالهما جانباً من محتويات وثائق البنتاغون السرية – التي تم تسريبها خلال الأسابيع القليلة الماضية، الخاصة بتطوير وتوثيق أوجه العلاقات بين روسيا ودول عربية رئيسية منها، العربية السعودية، الامارات العربية وجمهورية مصر، ويسلط الباحثان مزيداً من الضوء على مستويات متعددة من اوجه التعاون بينهم. ويرى الباحثان أنه وعلى الرغم من عدم احراز تقدم روسي ذي مغزى في جبهة الحرب الاوكرانية الى جانب العقوبات الاقتصادية المفروضة على موسكو من قبل الغرب الجماعي، ومحاولات واشنطن عزلها، الا ان موسكو ما زالت عنصرًا مهمًا في شبكة مصالح واعتبارات دول منطقة الشرق الاوسط.

يرى الباحثان أن المعلومات الناشئة تؤكد وجود ضعف تدريجي لنفوذ الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وأن الدول العربية في المنطقة باتت تسعى إلى التحوط من المخاطر وعدم التماهي حصريًا مع جانب أو آخر. وأن هناك عدد من الدول تصرفت بهذه الطريقة، وتباطأت في محاولة عزل موسكو دبلوماسياً واقتصادياً، بل وساعدتها بطرق مختلفة، على الرغم من السياسة الأمريكية الرسمية وطلبات الإدارة بعدم القيام بذلك.

يقول الباحثان، أن الوثيقة المؤرخة في 9 مارس 2023 كشفت أن الإمارات العربية المتحدة وروسيا اتفقتا على تكثيف التعاون الاستخباراتي بينهما وعلى ما يبدو لتبادل المعلومات المتعلقة بأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية. كما كشفت الوثائق ايضاً، عن أن مصر وافقت على تصنيع أنواع مختلفة من الذخيرة سراً لروسيا (بما في ذلك 40 الف صاروخ) من أجل مساعدتها في مجهودها الحربي في أوكرانيا. الا ان الباحثان يؤكدان على انه، لا يوجد ما يشير إلى أن هذه الاتفاقيات قد تم تنفيذها بالفعل من عدمه.

ويرصد الباحثان في قرائتهما للمعلومات الواردة في الوثائق تنوع في اشكال التعاون بين روسيا وكل من ابو ظبي والرياض: على سبيل المثال، اشترت الإمارات والسعودية النفط الروسي – مع تجاوز العقوبات المفروضة على موسكو – وباعته في السوق بارباح مالية. أصبحت الإمارات أيضًا وجهة مركزية للأثرياء

الروس الذين تهربوا من نظام العقوبات، مما أدى إلى ازدهار سوق العقارات في دبي، التي أصبحت واحدة من مراكز عبور البضائع إلى روسيا من أجل ما اطلق عليه الباحثان 'الواردات الرمادية'. ارتفاع عدد السائحين الروس في الإمارات الى قرابة المليون. كما أفادت التقارير أن هناك حوالي 100 طائرة خاصة مملوكة لأثرياء روس متوقفة في مطار دبي الدولي.

من ناحية، يضيف الباحثان مزيداً من الضوء في إطار رصدهما للتعاون الوثيق بين ابو ظبي وموسكو، بأن الإمارات وعلى الرغم من العقوبات المفروضة على روسيا، إلا انها سمحت لها بعرض حوالي 200 نظام سلاح في معرض الأسلحة الدولي (آيدكس) في أبو ظبي في فبراير 2023. وفقًا للروس، فقد تم اختبار فعالية هذه الأنظمة في ساحة المعركة في أوكرانيا. تأتي هذه المعلومات أيضًا جنبًا إلى جنب مع تقارير من السنوات الأخيرة حول العلاقات بين الإمارات العربية المتحدة ومجموعة فاغنر شبه العسكرية الروسية، بما في ذلك تمويل بعض عملياتها. في 8 ديسمبر 2022، تبادلت الولايات المتحدة وروسيا السجناء في مطار أبو ظبي: أطلقت روسيا سراح لاعب كرة السلة الأمريكي بريتني جرينير مقابل مواطن روسي حُكم عليه بالسجن لمدة طويلة في الولايات المتحدة بتهمة الاتجار غير المشروع بالأسلحة ودعمه الإرهاب.

من ناحية اخرى، أظهر الباحثان وفق ما ورد في الوثائق، عن تعاون وثيق وتحسن في العلاقات بين الرياض وموسكو. فقد ساعد ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في سبتمبر 2022 في تبادل الأسرى بين روسيا وأوكرانيا، والذي تضمن إطلاق سراح سياسي أوكراني مرتبط بالرئيس الروسي، واستمرت المشاركة السعودية في تبادلات إضافية. خلال زيارته لموسكو في مارس 2023، تحدث وزير الخارجية السعودي عن استعداد المملكة للمساعدة في حوار بين روسيا وأوكرانيا. روسيا مهتمة ببناء مفاعلات نووية في المملكة، وفي ديسمبر 2022 قدمت وثائق للمرحلة الأخيرة من المناقصة الصادرة عن المملكة. بالإضافة إلى ذلك، تعمل روسيا على إلغاء شرط التأشيرة للمسافرين بين البلدين. وفي أوائل أبريل، ولأول مرة منذ عشر سنوات، رست سفينتان من البحرية الروسية في ميناء جدة.

في ها السياق، يجادل الباحثان أن الدبلوماسية الروسية لم تتوقف عن العمل. وأن موسكو تستثمر في علاقاتها مع الدول الرئيسية في المنطقة لزيادة نفوذها عبر جهود الوساطة. ويتناولان مسألة التقارب الحاصل بين المجموعة العربية والنظام السوري مؤخراً، اذ لا يستبعد الكاتبان، ان تكون روسيا هي حزام النقل للنظام السوري الهادف لاعادته الى المجموعة العربية. وأن موسكو تدفع ايجابا بالعملية التي تقودها العربية السعودية لإعادة دمج سوريا بالنظام العربي الرسمي.

في موضوع آخر، اثار الباحثان قضية التسلح في المنطقة العربية، وأن روسيا ما تزال مصدرًا مهمًا للأسلحة، بين 2018–2022 كانت ثالث أكبر مصدر للأسلحة، بعد الولايات المتحدة وفرنسا، لدول الشرق الأوسط (بما في ذلك إيران).

وفقاً للباحثين، فإن أهمية روسيا لدول الخليج تكمن في علاقاتها الجيدة مع النظام الإيراني، وان لدى موسكو نفوذ في التأثير على قرارات طهران. بالنظر الى قناعة دول الخليج ان الولايات المتحدة فشلت في منع إيران من امتلاك أسلحة نووية، واهمال واشنطن للقضايا الامنية لدول المنطقة، حتى في ظل قيام ايران بتعزيز قدراتها العسكرية ووضع نفسها على العتبة النووية. وبالتالي فإن العلاقة مع روسيا حيوية بالنسبة لهم باعتبارها وسيلة ضغط على إيران.

في الاطار الاوسع، ينتقل الباحثان الى رصد مستوى حيوي اخر من التعاون الوثيق بين روسيا ودول الخليج، وهو شراكة المصالح في تنسيق أسعار النفط. حيث أكدت دول الخليج، التي تمتلك حوالي 40% من احتياطيات النفط المؤكدة في العالم، (كان آخرها في قرارها في أبريل 2023) إلى أنها ملتزمة بالتفاهمات مع روسيا كجزء من كارتل أوبك+. وكان لقرار دول الخليج بخفض إنتاج النفط للمرة الثانية

بالتنسيق مع روسيا تأثيره على أسواق النفط. الامر الذي اثار غضبًا في واشنطن، ليس فقط بسبب ارتفاع اسعار الطاقة، بل بإعتباره تقديم مساعدة غير مباشرة للمجهود الحربي الروسي في أوكرانيا.

دلالات يرصدها الباحثان

توفر وثائق البنتاغون المسربة معلومات توضح بشكل أكبر الاتجاه المتزايد للدول العربية لتنويع تفضيلاتها في التحالف، على حساب علاقاتها مع الولايات المتحدة. وبالتالي، فإن إحدى العواقب المركزية للحرب في أوكرانيا هي التغييرات التي أجرتها دول الشرق الأوسط الأساسية في علاقاتها مع حليفتها التقليدية، واشنطن. إنهم ليسوا مهتمين بالتخلي عن العلاقة مع الولايات المتحدة، ولكن في تقليل اعتمادهم على هذه العلاقة. مكانة دول الخليج في أعقاب ارتفاع أسعار النفط تسمح لها – في رأيهم – محاولة تشكيل نموذج جديد للعلاقات مع الولايات المتحدة، حيث قاموا بزيادة حرية المناورة، بحيث يكون من الأسهل عليهم تنفيذ سياسة مستقلة تسمح بتعظيم السعي لتحقيق مصالحهم الوطنية.

منذ بداية الحرب في أوكرانيا، سعت دول الخليج إلى تبني سياسة محايدة ظاهريًا. لم يدعموا روسيا صراحة، كما فعلت إيران وسوريا، لكنهم حافظوا على اتصال مفتوح بالقيادة الروسية وساعدوها بطريقة لا تتفق مع الموقف الغربي. يعكس هذا السلوك تغييرًا في تصور مكانة الولايات المتحدة في النظام الإقليمي الحالي. بالنسبة لموسكو، فإن العلاقة مع دول الخليج لها أهمية قصوى. بالإضافة إلى القدرة التي توفرها لها لتجاوز العقوبات، تتيح لها دول الخليج الوصول إلى المنطقة والمساهمة في تعزيز نفوذها. تعتمد روسيا بشكل خاص على أسعار النفط لتمويل الحرب في أوكرانيا، الى جانب تعزيز علاقاتها مع دول المنطقة وهو أمر بالغ الأهمية.

على الرغم من ضعف نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة، إلا انه لم يختفي، على سبيل المثال، دفعت ضغوط أمريكية كبيرة الإمارات إلى التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد روسيا، بعد امتناعها

عن التصويت في جلسة التصويت الاولى في مجلس الأمن الدولي. كما أدت ضغوط شديدة مماثلة إلى قيام الإمارات بإلغاء الترخيص الذي منحته لتشغيل بنك روسي على أراضيها – وهي خطوة كان من شأنها أن تسمح لروسيا بتحريك الأموال بسهولة على الرغم من العقوبات المفروضة عليها.

ومع ذلك، يجب على إسرائيل أن تواصل ملاحظة بعض القلق لاتجاه تطوير العلاقات بين روسيا (والصين) ودول المنطقة. تقدم وثائق البنتاغون المسربة دليلاً إضافيًا على هذا الاتجاه: تسعى روسيا إلى توسيع نفوذها في المنطقة، بينما تولي الولايات المتحدة اهتمامًا أقل للأحداث في المسرح الاقليمي. وتسعى الدول الإقليمية من جانبها إلى تبني سياسة خارجية أكثر استقلالية مما كانت عليه في الماضي، وهو ما يعني عمليًا على الأرجح النأي بنفسها عن فلك الولايات المتحدة.